

الحب والرغبة بدل الخوف والرهبنة في دور التربية والتعليم

ألقى «السر روبرت بادن پاول» مؤسس فرق الكشافه في العالم ومديرها العام خطبة استرعت الاسماع واستهوت الاذهان أمام مؤتمر التربية الخلقية الدولي الذي عقد صيف العام الماضي بمدينة جنيف من أعمال سويسرا موضوعها :

بناء صرح التربية على الرغبة بدل الرهبنة

استهلها بقوله : انه رأى في معبد شرق لهاذا ثلاثة رءوس الاول للحب والثاني للبغض والثالث للسلم فسأل عن أعرفها للناس وأكثرها عبادا فقيل له ان معظم القرابين والنذور تقرب الى إله البغض لاجبا فيه ولكن اتقاء له وزلقى اليه ليدفع عنهم كيد الكائدين وحقد الحاقدين ثم قال : يظن الانسان لأول وهلة أن هؤلاء الناس أغبياء سخاف العقول لخضوعهم إلى هذا الحد لسطان الخوف ولكنه اذا فكر قليلا رأى ان الخوف يحتمك ساطانه في هذا العالم وتدير سيطوته دولاب أعماله أسنا للمحافظة على السلم نستعد للحرب خوفاً من هجوم العدو

أسنا نخطب ونعظ لنشر السلام في العالم خوفاً من هول الحرب

ومصائبها

أليست حكومات العالم الراقية انما تعتمد الى تمثيل جميع الطبقات
فيها خوفا من اغضاب فئة خاصة وقيامها بتشريع خاص
أليس ما يسمونه نظاماً في الجيوش البرية والبحرية قائماً في الغالب
على الرهبة من العقاب والخوف منه
أليس التخويف سلاحاً في يد الاقوياء يرهبون به الضعفاء ويزلونهم
أليست عبارات التهديد والتخويف لا تزال متداولة حتى اليوم
لصيانة حقوق الامم واحترامها
أليس الخوف ديناً يدين به الكثيرون منا فلا يعبدون الله ولا
يؤمنون به لأنه يجب لذاته ويعبد لوجهه بل لأنهم يخافون عقابه ويخشون
عذابه^(١)

ألسنا كثيراً ما نسلك سبل الخير والفضيلة ونترك طرق الشر
والرذيلة خوفاً من النتائج القانونية أو الوجدانية اذا ظهرت اغلاطنا
واتضح مساوينا لا حبا في الخير وبغضا في الشر كما كان ينبغي ويلزم
أليس الخوف من الفقر هو الدافع للانسان أن يسعى ويعمل
ليكسب المال ويحصل عليه أليس أليس ثم قال :
اننا مادمننا على هذه الحال وما دام الخوف لا الواجب مستحوذاً
على نفوسنا في جميع الاعمال لن نستطيع تغيير البيئة غير الصالحة التي
نعيش فيها لأن الانسان لا يستطيع تغيير حالته الاجتماعية الا اذا غير

(١) يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصف تقوى صهيب وورعه
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

من أحواله النفسية وأطواره الخلقية كأننى به يقول « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

فإذا أردنا أن نمنع الحرب وجب أن نستأصل سببها وليس لها من سبب سوى الخوف الكامن في القلوب اما نزع السلاح وحذف الجيوش فلا يجدى في ذلك شيئاً لأنه يقلب أن يكون نتيجة لها لا سبباً كما ان حذف رجال الشرطة لا يمنع ارتكاب الجرائم

ولما كان المعلم وحده هو القابض على قلوب النشء المتسلط على نفوسهم فإنه لاغيره هو الذى يستطيع أن يستأصل منها بذور الطمع وغرائز الشر والتعمدى على الضعيف كما يولد الألفة والمحبة بين أفراد الأمم المختلفة والشعوب المتباينة فيتضافرون ويتضامنون على ما فيه خيرهم وفلاحهم وبذلك يتحسن مستقبل الإنسانية ويسير الناس جنباً لجنب تحت راية الوفاق والوثام

نعم ان الحروب على ما جرت على الانسانية من عذاب وشقاء وقادت الى خراب وفقر وأمراض قد أحييت في النفوس البشرية صفات الرجولة الصحيحة . كالنخوة والمروءة والتجالد والنظام والشجاعة والبطولة واحتقار الملاذ وتضحية النفس وتلك صفات ماسرت في أفراد أمة الا رفعتها الى عنان السماء ولا تجردت منها أخرى الا رشحت نفسها للفناء فكان حقاً على الامم التي تطمع في الحياة السعيدة أن تحتفظ بتلك الصفات الأدبية الجليلة التي لا تكسب الا من طريق التربية العسكرية

ولكن كم تكون تلك الصفات أسمى وأكثر إذا بنيت على أساس الحب والرغبة لا الخوف والرهبة ومن ذا الذي يسوى بين نظامين ضُرب أحدهما على الناس قسراً وقهراً وقام الآخر على خالص الحرية ومحض الاختيار : ثم قال

كان طبيعياً بعد هذا كله أن يكون نظام فرق الكشافة القائم على محض الحب والرغبة لألقى ألف من الشباب بنين وبنات من عامة البلدان ومختلف الأديان هو النظام الذي يكفل بقاء تلك الصفات الحربية وتنميتها في قلوب المعتصمين به موجهة إلى خير الأمم وإسعادها لا إلى اشقتها وتعذيبها إلى أن قال في الختام :

ألا يمكننا أن نُجمل هذا النظام البديع المحبوب محل هذه النظم المروعة العنيفة في كل ما نزاول من الأعمال ؟ . . . انتهى

تلك هي أقواله وأناى لأرى قبل مغادرتها إلى أصل الموضوع أن أوجه حضرات القراء إلى كراسة رأيتها منقوشة على قاعدة تمثال المفكر السويسرى « الكسندر فينى » بلوزان فى الصيف الماضى لم أجد أبلغ منها ولا أحكم فى التعبير عن كل ما تقدم من تفصيل وهى « يجب أن يكون الإنسان حراً مختاراً ليستطيع أن يقدم للإنسانية خدمة تذكر فتشكر »

فاذا كان السر بادن باول يرى ان احلال الحب محل الخوف فى جميع الأعمال أمر واجب لازم كان فى التربية والتعليم بنوع خاص أمراً واجباً وألزم اذ أن الحب من أسمى الميول وأكثر الفرائض التى أودعها

الله سبحانه وتعالى قلب الطفل ومن أثارها نفوره من هذا وتعلقه
بذاك وألفه درس الاستاذ الذى يحبه ألفا هو أساس ارتفاعه بعلمه
وزيادة الرغبة فيه.

قال المربي الفرنسى الكبير « ديدرو » عند ما عوتب فى شأن
تلميذه لم يستفد من دروسه :

« ما ذا تريدون أن أعلمه انه لا يحبني »

Que voulez-vous que lui apprenne ; Il ne m'aime pas

وقد أتى المربي الانجليزى الشهير « توماس ارنولد » من نحو
ثمانين عاما باللائمة الشديدة على هؤلاء المربين المستبدين الذين يرهقون
التلاميذ ويريدون أن يقبضوا عليهم بيد من حديد لأن ذلك علاوة
على انه ينفرهم من المعلمين ويهدم في العلم يضرب عليهم الذلة والمسكنة
وهما كانت التربية الصحيحة لتخرج عبيداً ضعافاً أذلاء بل سادة أحراراً
كبار النفوس يتمتعون بالرأى والحرية التامة فى كل ما يعرض عليهم
من الاعمال

فلندع الأطفال ينفردوا بأنفسهم ويحتلوا بما حولهم ولنمنحهم
نصيحةً صالحاً من الأعمال المدرسية الادارية ولنمنحهم بقدر ما من
الحكم فيما بينهم ليتعرفوا معنى السلطة وليذوقوا طعم الأمانة وليشعروا
من بدء نشأتهم بالتبعية التى هى دائما قرينة الرأسة ولازمة لها
ان قانون تقسيم العجل وتنوع الأعمال وتشعبها واتساع دوائر

الاختصاص فيها في الازمنة الحديثة أصبح يتطلب عدداً عظيماً من الرؤساء المهذين المدربين وأنى لنا بذلك التهذيب وهذا التدريب إذا لم تكن المدرسة بأشراكهم معها في كثير من أعمالها المختلفة ليدرجوا على واجبات الرأسة ويتمزقوا على أساليبها من حداثة أسنانهم ألقى المسيو برتنيه ناظر إحدى مدارس مدينة ستراسبورج خطبة شائقة أمام المؤتمر هذا العام موضوعها :

« كيفية اعداد الرؤساء »

فبدأ بتعريف الرئيس فقال :

الرئيس رجل يدير شؤون غيره ويملك قيادته لأنه تعلم كيف يدير شؤون نفسه ويملك قيادتها

Le chef est un homme qui dirige et domine parce qu'il sait se diriger lui-même et se dominer

ومن جليل ما قل انه لا شيء يسمو بالأطفال الى مستوى الاخلاق العالية وينقلهم بسرعة عجيبة من طور نزع الشباب الى طور رصانة الشيخوخة مثل الثقة بهم وتشريفهم بشيء من المسئولية بين أقرانهم الى أن قال :

ولقد خطت مدرستي في هذا السبيل خطوات واسعة جعلتني في غنى عن الضباط والملاحظين إذ عهدت بأمر النظام والنظافة والترتيب وغيرها الى لجنة من كبار التلاميذ وعقلائهم وقد قاموا بها تحت إشرافي خير قيام اه

وان في انتشار هذا النوع الجديد من المدارس في أمريكا وإنجلترا
وفرنسا لبرهاناً ساطعاً على ماله من المزايا الجملة والفوائد الجليلة
ولقد قرأت منذ سنين أن لوردًا إنجليزيًا غنياً أراد أن ينشئ
مدرسة من غير معلمين فأعد لها المكان وجعلها بالأثاث والأدوات
ثم أغلق على التلاميذ الباب وتركهم وشأنهم لينظموا أمورهم ويتعلموا
من تلقاء أنفسهم بالمخالطة والمراس غير أن تلك المدرسة قد فشلت ولم
يك بالغريب فشلها فكل ما زاد على حده انقلب الى ضده اذ لا غنى
للمتعلم عن المعلم والمسترشد عن المرشد وانما ضربتها مثلاً وان لم تنجح
لما تدل عليه من انقراض هؤلاء في ضرورة اطلاق الحرية للمتعلمين
والثقة بهم الى حد بعيد

اصمير فرمسي العمروسي

السلطة والحرية

معناها : نشأتها . اثرها في التربية

زين للناس حب الحرية فها موابها وصبت نفوسهم اليها وجعلوها
غرضهم في الحياة وتحيلوها الهمة السعادة فعبدوها وأنشدوا الاشعار
في مدحها وضحوا بحياتهم في سبيلها فوقعوا في الأسر الذي منه
يفرون ورضوا بالذل وهم صاغرون . تلك قوانين الاجتماع ومناهج
العالم وسنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً
فالحرية المطلقة سراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاء لم